

2014 0117

لم يكن أي شيء أكثر أهمية بالنسبة إلي من أن تعيش تشلسي حياة طبيعية قدر الإمكان في البيت الأبيض، في ليتل روك كانت قد تابعت التعليم في إحدى المدارس العامة، وقادرة على فعل الأشياء كلها التي يفعلها الصغار الآخرون، غير أن ذلك لم يكن - على ما بدا - ممكناً بالنسبة إلى ابنة رئيس للجمهورية؛ لم تكن تشلسي مبهتجة إزاء بقائها مطوقة ومظلة بحشد من عناصر الجهاز السري على امتداد أربع وعشرين ساعة في اليوم.

حتى قطتها (سوكس) كان لابد من اقتيادها برسن عند الخروج، حاولت أن أمكن تشلسي من التوفيق الصعب بين الانخراط في الفعاليات الطبيعية والنأي بالنفس عن خطر الحالات الذهنية المحتملة (العقد النفسية المحتملة).

من الذي يمكنني أن أستشيريه؟ فكرت. من يمكن أن يعرف؟ ثم تذكرت جاكى كندي أوناسيس، كنت شديدة الإعجاب بالأسلوب الذي اعتمده في تربية أولادها في البيت الأبيض، فقررت التماس النصيحة منها.

جاكي وأنا كنا متشابهتين من نواح كثيرة؛ كلتانا امرأتان متحفظتان، مع روح دعابة لا تعرف معنى الخجل في العمق، كانت جاكى سريعة البديهة والفتنة،

وعُرفت أنا لدى صديقاتي بأني مقلّدة خطيرة، كلتانا كنا مغرمتين بتقديس أصحاب الذكاء والفتنة من الرجال، وما ليس غريباً عن صداقتنا المتنامية أن كلاً منا كانت قد اقترنت وهي على علم بوزير نساء، ما لبث أن أصبح رئيساً للجمهورية.

ما إن رفعت هي نفسها السماعة حين اتصلت، حتى أصرت على دعوتي إلى تناول وجبة الغداء معها في شقتها الأنيقة الواقعة في الشارع الخامس (الفيث آفنيو)، فأوصلني الجهاز السري إلى بيتها، حيث استقبلتني جاكى عند مدخل الطبقة الخامسة عشرة للمصعد، وجدتها أطول، ناحلة أكثر، وأجمل من صورها، وكما على الدوام كانت بالغة التألق في الملبس، بسرورالها الحريري الرمادي الفاتح وقميصها المناسب طرازاً ولوناً، لم تكن أقل إشراقاً وهي في الثالثة والستين من العمر منها حين كانت سيدتنا الأولى.

سرني أن أجد بيتها دافئاً ومريحاً، زاخراً بالكتب، وبالرسوم، والأعمال الفنية، بدلاً من مكان صمم لاستعراض صرعات ديكور المجتمع الأخيرة، مباشرة سحرني حضورها. فكرت بلهفة: إنها ملكة أميركا حقاً، وأنا مجرد فتاة صغيرة من إيلينوي عبر نيوهافن وليتل روك، كيف أستطيع أن أحذو حذوها في أي من الأوقات؟!

غير أنه سرعان ما جعلها حدسها الممتاز تحس بهواجسي، فبادرت فوراً إلى طمأننتي، بدت كما لو كانت عارفة سلفاً الأمر الذي جئت لأبجته معها، فبدأت تتكلم عن سنواتها وهي سيدة أولى، حين وجدت نفسها مشوشة ووظيفتها غير محددة، أذكر أنها قالت: «لا يوجد أي كتاب قواعد يمكن أن يتعلم منه المرء فن الاضطلاع بدور سيدة أولى، يتعين على المرء اجتراح القواعد ذاتياً، ليس الأمر سهلاً، وإذا كنت دون الخامسة والعشرين فأنت من جيل إكس المفتقر إلى الكفاءة؛ وإذا كنت فوق الأربعين فأنت من كثيرات الأولاد الأنانيات؛ وإذا كنت ليبرالية، فأنت صاحبة قلب نازف؛ وإذا كنت محافظة، فأنت بلا قلب كلياً».

أضفت «نعم، وإذا كنت رئيس جمهورية ديمقراطي من أركنسو، فأنت كل أولئك بالتناوب، تبعاً لليوم الذي أنت فيه». ضحكت جاكى وأكدت لي أنها فهمت ما قصدته.

صقلها القائم على سعة المعرفة للبيت الأبيض ساعد على تمكينها من تحديد دورها لنفسها كما للرئاسة الكندية، وأسهم كثيراً في شيوع أسطورة كاميلوت (Camelot). تساءلت عن الأسلوب الذي من شأنه أن أعمده لتحديد دوري بوصفي سيدة أولى لنفسى، راودني كثير من الشك حول مدى قدرتي على الارتقاء إلى مستوى الدور اللامع، بالغ الأصالة الذي اجترحته جاكى لنفسها بوصفها سيدة أولى.

تناولنا الغداء حول مائدة في زاوية غرفة معيشتها المطلة على الأشجار الفخمة للحديقة المركزية (السنترال بارك) ومتحف المتروبوليتان للفنون، وناقشنا أسلوب تحصين تشلسي ضد وسائل الإعلام، وإلا فإن الأخيرة ستدمر مطاردها. أخبرتني جاكى بما كانت قد فعلته لحماية كارولان وجون، وقالت إن على موضوع توفير حياة طبيعية لتشلسي أن يشكل أولى أولوياتي، نبهتني إلى أن علينا أن نمكن تشلسي من النمو بل وحتى من ارتكاب الأخطاء، مع الاستمرار الوقت كله في تحصينها ضد الحضور الدائم للمراسلين، أفادت جاكى بأن ولديها كانا محظوظين بكونهما محاطين بعدد من أبناء وبنات العمومة وأولاد الأصدقاء والصدقات، ومن شأن الأمر أن يكون أصعب بالنسبة إلى تشلسي؛ لأنها وحيدة العائلة.

قالت لآبد لي من حمايتها وإبقائها محاطة بالعائلة والأصدقاء والصدقات، غير أن إغراقها بالدلال لم يكن أسلوباً ناجحاً، تعين علي أن أبتسم عند سماع ذلك التعليق، لم يكن حصول تشلسي على كثير من الدلال احتمالاً وارداً وأنا ابنة أبي، ربما يجب أن أدعو جاكى إلى الكلام مع بل، خطر لي. حذرتني من

النساء اللواتي سيحاولن نسج صداقات لأولادهن مع تشلسي للوصول إلى بؤرة الضوء.

عبرتُ لجاكي عن عميق امتناني على إيجاد فسحة عشاء في الطبقة العليا من البيت الأبيض، وأخبرتها باعتزامنا قلب حجرة الساقى إلى مطبخ صغير نستطيع الاسترخاء فيه على نحو أقل رسمية من غرفة الطعام الرئاسية. وافقت بكل صدق. حدثتها عن مدى صعوبة صون حياة طبيعية لطفلة في حوض سمك، ولباقة قالت جاكي إنها كانت قد سمعت عن مدى نجاح تشلسي في التكيف، وإن علي أنا أن أستمري في ما كنت دائبة على فعله، فشعرت بدفقة دفاء إزاء صديقتي الجديدة، وعند المغادرة تبادلنا عناقاً ودياً طويلاً، وبقينا على اتصال هاتفي لأعوام لاحقة؛ ظلت منبع عون وإلهام بالنسبة إلي حتى رحلت.

